مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية العدد (٣) – سبتمبر ٢٠٢٢م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-541X الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: ٢٨١٢-٥٤٢٨
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eg

صورة المرأة في الزواج المختلط في أعقاب الفتح الإسلامي في الأندلس في ضوء بعض الكتابات الغربية الحديثة

أ.د/ سحر السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب– جامعة الإسكندرية

Journal of Arabic Language and Islamic Sciences Vol (3) – SPt 2022
Printed ISSN :2812-541X On Line ISSN : 2812-5428
Website : https://jlais.journals.ekb.eg/

صورة المرأة في الزواج المختلط في أعقاب الفتح الإسلامي في الأندلس في ضوء بعض الكتابات الغربية الحديثة

أ.د/ سحر السيد عبدالعزيز سالم

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب– جامعة الاسكندرية

تُعد هذه الدراسة هي الرابعة التي نقدّمها في مجال التأريخ لظاهرة الزواج المختلط في الأندلس، فقد سبق أن صدر لنا كتاب بعنوان: "**بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري– أسرة من المولدين في الأندلس في العصر الإسلامي**" في سنة ١٩٨٩م[١]، ثم نَشرت كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالمملكة المغربية بحثا لنا بعنوان: "**الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس– دراسة أدبية إجتماعية**" في عام ١٩٩٥م[٢]، كما نشرت مجلة كلية الآداب بجامعة كفر الشيخ ، بحثاً ثالثاً بعنوان: "**جوانب من تاريخ أبناء الأقلية المسلمة في ممكلة أشتوريس– ليون حتى نهاية عهد الملك الفونسو العفيف ٢٢٨هـ/٨٤٢م**" في عام ٢٠٢١م[٣].

وتأتي الآن هذه الدراسة التي سنحاول أن نتعرض من خلالها لصورة المرأة التي انخرطت في مثل هذا النوع من الزواج، مع بواكير الفتح الإسلامي للأندلس، في ضوء بعض الكتابات الغربية في العصر الحديث التي دونت بدءاً من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وحتى القرن الحادي والعشرين. وسنحاول أن نتتبع طبيعة هذه الصورة التي رسمتها هذه الكتابات الغربية للمرأة الإسبانية التي تزوجت من

---

[١]– نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٩.

[٢]– من منشورات أعمال مؤتمر (الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق د. محمد حمام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٥، ص٣٣–٧٩.)

[٣]– عدد يناير، ٢٠٢١.

مسلم من الفاتحين، أو العكس، صورة المرأة المسلمة التي أقدمت على الزواج من إسباني، وبالطبع، يقتضي منا ذلك أولاً تحديد المفاهيم التي تتعلق بالصورة(Image) في بداية دراستنا.

يختلف الباحثون في إستخدام المصطلح الدال على الصورة، فهناك من يستخدم مصطلح **الصورة الذهنية** "**Mental Image**"، وهناك من يستخدم مصطلح **الصورة النمطية** "**Stereotype**"، بينما هناك فريق ثالث يفضل إستخدام مصطلح "**الصورة المُنْطَبِعَة**"، وفريق رابع يفضل إستخدام مصطلح "**الصورة المقلوبة**"؛ ويُعدّ كل من المصطلحين الأخيرين بمثابة مرادف لمصطلح الصورة النمطية(الخاطئة).

وفيما يتعلق بـ"**الصورة الذهنية**" فهي مجموعة من الانطباعات التي تتكون في الأذهان كنتاج تفاعلي مع عناصر المعرفة والإدراك، وهي عملية مركبة تراكمية، لها ثلاثة أبعاد، بُعد معرفي وآخر وجداني وثالث إجرائي، وتتسم بقدرتها على التغير طبقا للظروف، فالصورة الذهنية متغيرة ومتأثرة بالبيئة المحيطة، ومتخطية لحدود الزمان والمكان، وديناميكية وليست لها خصائصاً ثابتة[1].

أما "**الصورة النمطية**" فهي تلك التي ترتبط بتعقيدات العلاقة بين الذات والآخر، وهي فعل ثقافي ذهني، وغالباً ما تكون مُسبَقة وسلبية ومتصلبة، وتأخذ أحياناً طابع الوصم، ونادراً ما تكون إيجابية، وهي غالباً وثيقة الصلة بالعنصرية والتعصب

[1]– عن آراء علماء الإجتماع المتباينة والمتعددة حول الصورة الذهنية، وأنواعها، وسماتها، والفارق بينها، وبين الصورة النمطية، إرجع على سبيل المثال إلى:

Cardwell .Mike, Sterotypes Psychology ,Chicago,1999

– ناجية أقجوج، الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي سوء فهم أم مركب جهل، ٢٠٠٩؛ ناهض فاضل زيدان الجواري: العلاقة العامة والصورة الذهنية، سلسلة بحوث ٢٠١٨ ص ٢٢٠–٢٢٣؛ جردان هاري هايل، الصورة الذهنية لمنظمات المجتمع المدني، دار اليازوري للنشر والتوزيع، د.ت، ص ١٧.

والتحيز[١]، وتتسم بالقولبة، ولا ترتكز على أساس علمي موضوعي، في حين أن الصورة الذهنية تقوم على أساس الحقائق الموضوعية العلمية أما النمطية فإنها تأخذ شكل الفكرة العقائدية الثابتة[٢].

وتهتم هذه الدراسة بتتبع صورة المرأة في الزواج المختلط في الأندلس في ضوء أهم الكتابات الغربية الحديثة، وإذا ما كانت هذه الصورة نمطية ثابتة أو ذهنية متغيرة، وأهم التغيرات التي طرأت عليها في هذه الحالة طبقا للمعطيات التاريخية ولمفهوم التطور الثقافي والاجتماعي. وتشتمل هذه الكتابات الغربية الحديثة على كل من الكتابات الأدبية والتاريخية، فالتاريخ في بداياته الأولى عند المسلمين قد إندرج تحت ما يسمى بالأدب، كما أن كتب الأدب إنما تُعدّ من أهم مصادر المؤرخ[٣].

---

[١]– تحسين محمد أنيس شرادفة، الصورة النمطية للعالم العربي الإسلامي في صحيفتي تايمز وواشنطن بوست دراسة تحليلية، الأردن، ٢٠١٥، ص ٣؛ زينب عبد الستار مجيد الصفار، نظرية الصورة الذهنية وإشكالية العلاقة مع التنميط، مجلة الباحث الإعلامي، العدد ٥، ص١١٧–١١٨، ١٣٢.

[٢]– المرجع السابق، ص ١٣٢؛ عبد الله مصطفى عبد الله الفرا، دور الصورة الذهنية للمنظمات الأهلية في بناء العلاقات الإستراتيجية مع جمهور المستفيدين، رسالة ماجستير، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٨، ص١١.

[٣]– عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، بيروت، ١٩٧٢، الفصل الثاني، ص ٨٣ وما يليها؛ السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٢، الفصل الخامس الخاص بتطور الكتابة التاريخية عند المسلمين والفصل الخاص بكتب الأدب والشعر ضمن المصادر المكتوبة اللازمة للمؤرخ؛ دبابسية عبد الحفيظ، أهمية المصادر الأدبية في دراسة التاريخ الإجتماعي والعلمي للدولة الأموية(٤١–١٣٢هـ/٦٦٢–٧٥٠م) كتب الأمالي أنموذج، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، مجلد ٣٤، رقم ١، ص٨٥٩–٩٠٥.

وسنتخير في هذه الدراسة، شخصيتين، كأنموذجين، تدور حولهما هذه الكتابات، الأولى لسيدة إسبانية تزوجت من قائد مسلم من أهم قادة فتح إسبانيا، وهي السيدة **إيخيلونا** "**Egilona**" كما ورد إسمها في مدونة عام (٧٥٤م) الإسبانية، وهي "**أم عاصم**"[١] و"**أيلة**"[٢] كما ورد إسمها في المصادر العربية، أرملة الملك **لذريق**"**Rodrigo**" آخر ملوك القوط، التي تزوجت من **عبد العزيز بن موسى بن نصير**[٣]؛ أما الشخصية الثانية فهي للسيدة المسلمة التي ورد إسمها في الكتابات الإسبانية على أنه "**Sislada**"[٤]، وهي والدة **مورجاتو**" **Mauregato**" ملك أشتورياس "**Asturias**" (١٦٧-١٧٣هـ/٧٨٣-٧٨٩م)، وابن الملك الأشتوري **ألفونسو الأول**"**Alfonso I**" (١٢٢-١٤٠هـ/٧٣٩-٧٥٧م).

وبهذا الاختيار فإننا نكون قد قسمنا الدراسة إلى مبحثين رئيسيين الأول يتعرض لصورة إيخيلونا الإسبانية في الكتابات الغربية الحديثة ومدى تطور طبيعة هذه

---

[١]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، نشره دون خوليان ريبيرا، مدريد، ١٩٢٦، ص ١١.

[٢]- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، ١٩٥٠، ج٢، ص ٢٠؛ المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٩، ج١، ص ٢٦٣.

[٣]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٩، ص١٤٠.

[٤]- لم تذكر المصادر الإسبانية إسم هذه المحظية المسلمة والدة مورجاتو إلا أن كلا من Fernandez de Bethencourt و Eusebio Martinez de Vela قد أورد إسمها على أنه سيسيلادا، وذكرا أنها كانت أسيرة بربرية . للمزيد راجع بحث Eusebio Martinez de Vela المنشور في مجلة المتحف العلمي بإسبانيا عام ١٨٦٣م؛ وأيضًا:

Fernandez De Bethencourt, Historia genealogyica y hiridica de la monarquia Española, ,Madrid, 1897, vol I, p167.

الصورة، والمبحث الثاني يتعلق بصورة والدة الملك مورجاتو، المسلمة، في الكتابات الغربية كذلك.

أما فيما يتعلق بالسيدة إيخيلونا والتي تزوجت بعد مقتل زوجها لذريق من القائد المسلم عبد العزيز إبن موسى بن نصير، فقد كانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح، وبادرت بالجزية، وأقامت على دينها في ظل نعمها، حتى تزوجت من القائد المسلم عبد العزيز[١]. وكان عبد العزيز بن موسى من أهم الشخصيات الإسلامية التي اقترن إسمه بفتح الأندلس، فإليه يرجع الفضل في إسترداد مدينة **إشبيلية** "**Sivilla**"[٢] بعد انتفاضة أهلها، مع ما انضم إليهم من بقايا جيش القوط.

كما أنه ما كاد أن يتولى إمارة الأندلس (٩٥٠هـ/٧١٤م)، حتى قام بحملة لإستكمال فتح غرب الأندلس- البرتغال حالياً- ولم تزودنا المصادر العربية بالكثير عن هذه الحملة، وإن كان **سافدرا**"**Saavedra**" يرى أنه قام بهذه الحملة على **يابرة** "**Evora**" **وشنترين** "**Santarem**" **وقلمرية** "**Ciombra**"، قبل رحيل والده "**موسى**" إلى دمشق[٣]. ثم توجه عبد العزيز بعد ذلك إلى جنوب شرق الأندلس، وهو القسم الذي كان قد تبقى من أراضي إسبانيا، فدخل إقليم **مرسية** "**Murcia**"، وحاضرته **أوريولة** "**Orihuela**"، وافتتحها صلحاً[٤] مع حاكمها **تدمير بن عبدوش** " .**Teodmiro B Ergobado**". ويؤكد **دون فرنسيسكو كوديرة** "**Codera**" أن عبد العزيز قد شارك

[١]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٤٠.

[٢]- المرجع نفسه، ص ١٣٥.

[3] -Edoardo Saavedra, Estudio Sobre la invasion de los Arabes en Espana Madrid, 1892, p 127.

[٤]- راجع التفاصيل في (السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين، ص ١٣٧ وما بعدها)

في حملة حتى بلغ **أربونة** "**Narbonna**" وذلك طبقاً لما ورد في إحدى المخطوطات العربية[١].

استكمل عبد العزيز فتح الأندلس، ثم إتجه إلى تنظيم البلاد وإدارة شئونها. وإستقر في إشبيلية في جانب من كنيسة فيها يقال لها **ربينة**[٢] أو **رفينة** " **Santa Rufina**"، وهي نفس المسجد الذي سمي فيما بعد بإسم **مسجد رابطة عنبر** أو **رابطة باب عنبر**[٣]، وهو المسجد الذي سيتم إغتياله فيه أثناء صلاته.

ويذكر كتاب أخبار مجموعة أن أصل عبد العزيز ووالده موسى إنما يرجع إلى "علوج" أصابهم خالد بن الوليد في "عين التمر" وهي بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، إدّعو أنهم من رهن وأنهم من بكر بن وائل، فصار نُصْير وصيفًا لعبد العزيزبن مروان، الذي أعتقه وبعثه وعقد له سنة(٧٨هـ) على إفريقة وما خلفها[٤].

ويلتقط بعض المؤرخين الغربيين هذا الخبر، ومن أهمهم المؤرخ " **DariÓ Fernandez Morera**" الأستاذ **بجامعة بنسلفانيا** " **Pennsylvania University**" ليؤكد الأصول المسيحية لموسى ابن نصير وبنيه، وبالتالي فهو يرجح صحة ما ورد من أخبار متناثرة في المصادر العربية عن إتجاه وميل عبد العزيز ابن

---

[١]– ذكر كوديره أن هذا المخطوط في مكتبة الجزائر رقم ١٨٣٦، ورقة ١٦٢ظ:

- Francisco Codera, Narbona Gerona y Barcelona bajo la domination Musulmana, Estudios Criticos de la historia Arabe Espanola, Madrid, 1917, vol III , p 293.

[٢]– يذكر ابن القوطية أن عبد العزيز كان يسكن في هذه الكنيسة مع زوجته أم عاصم، وإبتني على بابها المسجد الذي قتل فيه.(ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١).

[٣]– ابن الزبير، كتاب صلة الصلة، تشر ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٣٨، ص٣٩؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص١٣٩.

[٤]– مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الإبياري، درا الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٩٩٠، ص٤.

موسى إلى التنصر، بناءً على مطلب من إيخيلونا بعد زواجها منه، وإرتداداً منه إلى أصوله المسيحية الأولى بل إن "**Morera**" لا يكتفي بذلك فيرجع الكثير من القادة والجند البربر الذين شهدوا فتح الأندلس ومنهم "**طريف**" إلى الأصول المسيحية[١].

وهناك روايات إسلامية تشير إلى أن إيخيلونا قد أقنعت عبد العزيز بوضع تاج على رأسه، قامت بصنعه له مما بقي عندها من جوهر وذهب ، ورغم إعتراضه في بداية الأمر لأنه ليس من قيم الإسلام، لكنها حببت إليه الفكرة وزينتها له، وجعلته يضعه سرًا في خلواته، فلما رأته زوجة القائد "**زياد بن النابغة التميمي**"– وكانت قوطية أيضًا– أخبرت زوجها، الذي نشر الخبر، فتأكدت لذلك شائعة تنصر عبد العزيز، كما قيل في بعض الروايات الإسلامية، كذلك أقنعت إيخيلونا زوجها عبد العزيز بأن يقيم باباً صغيراً قبالة مجلسه، إذا ما دخل الناس منه إنحنوا[٢] أمامه مما أثار حفيظة المسلمين فالإنحناء لا يكون إلا لله وحده، فثاروا عليه وقتلوه، بتهمة التنصر والإتجاه إلى الانفصال عن الخلافة الأموية .

وتتمثل أهم الكتابات الأدبية ذات الصبغة التاريخية عن رودريجو أو لذريق ملك القوط، وما ترتب على ذلك من سقوط إسبانيا القوطية، وبداية عصر جديد، إختلطت فيه الأعراق الشرقية بالغربية، فيما بدأه الإسباني **بيدرو دي كوريل**" **Pedro**

[1] -Dario Fernandez Morera, The Myth of the Andalusian Paradise, Muslims, Christians and Jews under Islamic rule in Medieval Spain, I S I book, 2007, p22-24.

[٢]– أخبار مجموعة، ص٢٠؛ ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٤١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٣.

De Correl" في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي في مدونته الشهيرة عن دون رودريجو[١].

وتلاه **ميجيل دي لونا**"**Miguel De Luna**"، الطبيب والكاتب والمؤرخ والمترجم الإسباني في القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين والذي كان يعمل في بلاط الملك **فيليب الثاني**"**Philipe II**" (١٥٥٦-١٥٩٨م)[٢] وقام بنشر قصة الملك رودريجو وضياع إسبانيا في مدونته سنة(١٥٩٢م) والتي تعرض فيها لهزيمة إسبانيا ولشخصية رودريجو أو لذريق، ولجرائمه العديدة وقصة مقتله، كما وصف الجيش البربري الفاتح لإسبانيا، وأشار لسيرة هذا الملك بكثير من التفصيل، وكذلك لأصول الأمة الإسبانية[٣].

---

[١]- كتبها عام ١٤٤٣م، ونشرت بعد ذلك بسنوات في إشبيلية وطبعت عدة طبعات كانت أشهرها طبعة عام ١٥٨٧م، التي نشرها (James Donald fogeLquist) وعن هذه المدونة لكوريل ارجع إلى:

- Pedro De Correl, Chronicle of King Don Rodrigo (Sarracina Chronicle) ed. James Donald FogeLquist, Madrid Castalia, 2001,2 Vols.

- وارجع كذلك إلى رسالة الماجستير:

- Allan, H, Stevenson, Astudy of Rodrick Legend in English Poetry by Scott, Landor and Sowthey, The Rice Institute, Houston, Texas, 1926, p9-110.

وقد إهتم دي كوريل بقصة لذريق وإبنة يليان فلورندا وكان ذلك مفتاحاً لقصة إيخيلونا مع عبد العزيز فيما بعد.

[٢]- تولى فيليب الثاني حكم كل من إسبانيا ونابولي وصقلية كما حكم إنجلترا فيما بين عامي (١٥٥٤-١٥٥٨م)، والبرتغال(١٥٨٠-١٥٩٨م)، وتشيلي من (١٥٥٤-١٥٥٦م).

[٣]- عن مدونة دي لونا ارجع إلى :

- Ana Menenfez Oliver, "translating" The Origins of the Spanish Nation in Miguel De Luna's Verdadera, Historia del Rey Don Rodrigo, Canadian review of Comparative Literature,2017.

غير أن الكاتبة والأديبة الإنجليزية **ماري بيكس**"**Mary Pix**" كانت من أبرز من بدأ بالحديث المفصل في روايات أدبية تحولت فيما بعد إلى أعمال مسرحية سنة(١٦٩٦م)[١] عن إيخيلونا وركزت في روايتها على أثر المرأة في إسقاط إسبانيا، وأكدت على أن هناك اثنتان من السيدات، قد خانتا قضية إسبانيا هما **فلورندا** إبنة **يليان**"**Julian**"، وإيخيلونا أرملة رودريجو "لذريق"[٢].

وكذلك كان حال الكاتبة والشاعرة الإسبانية **ماريا روزا جالفز**" **Maria Rosa Galvez**" التي ولدت في **مالقة**"**Malaga**" عام(١٧٦٨م) ونشرت ثلاثة أعمال سفرية عن فلورندا سنة(١٨٠٤م) وأشارت فيها إلى عاطفة فلورندا تجاه القائد الإسباني **بلاي**"**Pelayo**"، وعلاقة رودريجو بفلورندا، وأثر كل ذلك على زوجته إيخيلونا[٣].

وفي سنة (١٧٦٨م) نُشِرت رواية **لتيريجوراس**"**C.M. Trigueros**" بالإسبانية عن إيخيلونا، أرملة الملك رودريجو التي تزوجت من القائد المسلم عبد العزيز، فتُوجت ملكة على إسبانيا، على الرغم من أن كل من بلاي، وأيضًا إبن أخيه – طبقًا لهذا العمل الأدبي– كانا يرغبان في الزواج منها وأنها إنتحرت وماتت بعد

---

[١]– ماري بيكس Mary Pix (١٦٦٦–١٧٠٩م)، هي أديبة وكاتبة مسرحية إنجليزية، من أهم أعمالها رواية "Spanish Wives" التي دونتها عام(١٦٩٦م) ورواية الإستيلاء على إسبانيا "Conquest of Spain" التي نشرتها عام (١٥٠٧م).

[2] -Elizabith Drayson, Reinveting The Legend of King Roderick, Gertudis Gomez De Avellaneda's, Egilona, Romance Studies, U.K, University of Cambridge, November, 2014, P3-5.

[3]- op.cit, P6-7.

– وللمزيد من التفاصيل عن ماريا جالفز(١٧٦٨–١٨٠٦م) ارجع إلى :

- Daniels. Whitaker, An enlightened Premiere, The Theater of Maria Rosa Galvez, published by Michigan state University Press, Vol 19, no 1-2, 1993, p21-32.

مقتل عبد العزيز[١]؛ أما رواية الكاتب الإنجليزي **والتر سافدج** "**Walter Savadge**" سنة(١٨١٢م) عن الكونت يليان والد فلورندا والتي تحولت إلى عمل مسرحي أيضًا، فقد درات حول جميع هذه الأحداث[٢].

وفي أواخر القرن الثامن عشر كتب الأديب الإسباني **أنتونيو ڤيادارس**"**Antonio Valladares**" رواية عن إيخيلونا أرملة لذريق نشرت في سنة(١٧٩٠م) وكذلك في سنة(١٨١٩م)[٣]؛ أما الكاتبة الكوبية **خرترووديس دي أڤيانيدا**"**Gertrudis De Avellaneda**"، والتي عاشت في إسبانيا وكتبت رواية أدبية عن إيخيلونا، تحولت إلى عمل مسرحي سنة(١٨٤٥م)، فقد أشارت فيها إلى الصراع الذي عاشته إيخيلونا بين العاطفة والواجب بسبب زواجها من عبد العزيز بن موسى، وكان محور الرواية ينصب حول ما إذا كانت إيخيلونا ضحية أم خائنة لإسبانيا[٤].

---

[١]– راجع عمل كانديدو ماريا تيريجوراس"Candido Maria Trigueros"(١٧٣٦–١٨٠١م):
"La Egilona, Viuda del rey Don Rodrigo; en tres actos, Vol ,5, no 17, 1800"؛
وارجع إلى:
- Elizabith Drayson, Reinventing the Legend of King Rofrick, p7-8؛
أحمد علي حشاد، طرق تجسيد العنصر العربي في الدراما التاريخية الإسبانية من القرن ١٨ إلى القرن العشرين، المجلة العربية لدراسات وبحوث العلوم التربوية والإنسانية، عدد٣، ٢٠١٦، ص٣٨.

[2] -Elizabeth Drayson, Reinventing,p 8.

[٣]– أحمد علي حشاد، طرق تجسيد العنصر العربي، ص٣٧.

[٤]– عن حياة "Gertrudis Gomez De Avellaneda "(١٨١٤–١٨٧٣م) إرجع إلى:
- Gomez de Avellaneda, Gertrudis,"Autobiography" Translated by Scott, Nina, M, University of Texas press, 1993, p 1-23؛
وأيضًا إلى:
- Elizabith Drayson, Reinventing, p 8-11.

وشهد القرن التاسع عشر الميلادي أيضًا كتابات للكاتب البوليفي **مانويل كورتس**"**Manuel Cortéz**" عن المثلث الشهير، إيخيلونا، وعبد العزيز، ولذريق، في محاولة منه لمناقشة إذا ما كان زواج إيخيلونا من هذا القائد المسلم قد حدث من أجل خدمة قضايا وطنها وقومها، وأنها قد تآمرت معهم ضد هذا الزوج المسلم، أم أنها إرتبطت بعبد العزيز نتيجة لعاطفة صادقة[١].

ونلاحظ أن هذه الكتابات الأدبية التي تحولت في معظمها إلى أعمال مسرحية قد جنحت إلى الخيال، دون التحقق الموضوعي من الأحداث التاريخية ولا إلى تحليلها، بحيث أنها حولت مثلث[إيخيلونا – عبد العزيز – ورودريجو "لذريق"] إلى ما يشبه الأسطورة.

وقد عاشت أجيال من الفلاسفة عبر التاريخ الإنساني تبحث حول علاقة التاريخ بكل من الأدب والأسطورة. ويرى أحد أهم كبار المؤرخين في دراسة قيمة له عن علاقة التاريخ بالأدب[٢]، أن هذه العلاقة لابد وأن تتسم بكونها علاقة تكامل وليس تفاضل، لأن كلا منهما يتعلق بالإنسان. أما الأسطورة فهي ليست كلها خرافة، ويرى البعض أنها قد إشتقت كينونتها من رحم التاريخ، في حين يرى البعض الآخر العكس، وأن التاريخ هو الذي ولد من رحم الأسطورة. ويؤكد هذا الفريق الأخير رأيه بأن الأسطورة قد إشتُق إسمها من كلمة "**سطر**" العربية، و"**سطور**" ومن فعل "**يسطرون**". وقد تحرفت كلمة أسطورة، لتصبح "**ستوريا**" و"**إستوريا**" "**Historia**" بمعنى تاريخ في أوروبا، بعد أن إنتقلت من اللغة العربية السامية إلى اللغات الأوروبية من خلال

[١]– عن الكاتب البوليفي "Manuel Cortéz "(١٨١٥–١٨٦٥م) ارجع إلى: أحمد علي حشاد، طرق تجسيد العنصر العربي، ص١٤–٤٠.

[٢]– قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والأدب، نشر دار عين، القاهرة، ٢٠٠٧.

الفينيقيين الساميين[١] الذين نقلوها إلى بلاد اليونان ومنها إلى كل أوروبا، فيكون بذلك التاريخ هو الذي ولد من الأسطورة[٢].

إن هذه القضية معقدة، وفلسفية وهي بمثابة الدائرة التي لا نهاية لها، والتي إرتبط فيها التاريخ بالأدب الذي يعبر عن الخيال، وبالأسطورة التي عرفها الفلاسفة بأنها الروح، إرتباطاً لا نهائياً.

ونرى، أنه ليس كل ما في الأسطورة خرافة فهي مستفادة من كثير من الحقائق، وإن كان قد حرّفها الخيال، فإرتبطت بالأدب، كما أن ليس كل التاريخ حقيقة، فهو ليس بعيداً عن الهوى، طالما أن من يدونه ويسطره هو الإنسان، وطالما أن هناك سلطة يهواها هذا الإنسان، وأيديولوجيات يعتنقها، وعرق ينتمي إليه ويتعصب له، فلن توجد إذن حقيقة تاريخية كاملة مجردة[٣].

إن الصورة التي رسمتها هذه الأعمال الأدبية والمسرحية لإيخيلونا كانت في حينها منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وحتى أواخر القرن التاسع عشر، تعد بمثابة الصورة التي تتهمها بالخيانة لزواجها من عبد العزيز بن موسى، وبعض هذه الأعمال رأت أن إيخيلونا أقدمت على هذا الزواج إنتقاماً من زوجها رودريجو"لذريق" لكثرة خياناته لها، ولعل أشهرها علاقته بفلورندا إبنة يليان.

---

[١]– راجع كتاب، الأسطورة توثيق حضاري، جمعية التجريد الثقافية والاجتماعية، دار كيوان، البحرين، ٢٠٠٩، ص٢١، وما يليها.

[٢]– أحمد كمال زكي، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، مكتبة الشباب، ط١، ١٩٧٥، ص٤٤، ٥٥؛ وديع مبشور، الميثولوجيا السورية أساطير آرام، ط٢، د.ت، ص٩، ١١؛ ك.ك. رانفين، الأسطورة ، ترجمة جعفر صادق الخليلي، بيروت، باريس، ١٩٨١، ص٩–١٠.

[٣]– سحر السيد عبد العزيز سالم، الأصول التاريخية للأدب الروائي والأساطير دره قولا حاكم الأفلاق في القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي أنموذجًا، أحد بحوث كتاب تغريدات تاريخية من العصر الإسلامي، مؤسسة الفتح للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٢٢، ص٦٢٦.

وفي البعض الآخر نجد تفسيرات أخرى–كما سبق أن أشرنا– تلمح إلى عاطفة حقيقية قد ربطت بين إيخيلونا وعبد العزيز، وأنها كانت تدافع عن وطنها من خلال زواجها بالقائد المسلم تمهيداً للتخلص منه[١]. ورغم تعدد الآراء إلا أن معظم هذه الأعمال قد وصفت إيخيلونا بأنها كانت الزوجة الخطأ لرودريجو[٢] "لذريق".

ولكننا لا نستطيع أن نصف هذه الصورة بأنها نمطية، متصلبة ومتقولبة، لأنها قد بدأت في التغير في كل من القرن العشرين والواحد والعشرين في الكتابات الغربية الحديثة؛ حيث بدأت هذه الكتابات تميل إلى التحليل والموضوعية التاريخية، والإبتعاد عن التهويل والخيال الأدبي الجانح إلى الأساطير، ولعل أهم هذه الآراء هو رأي المؤرخ **جوزيف أوكالاخان**"**Joseph F. Ocallghan**" الأستاذ بجامعة "**Fordham**" **بنيويورك**، فقد أكد في كتابه المنشور سنة (١٩٧٥م) على أن زواج إيخيلونا من عبد العزيز، كان تجسيداً للنزعة الإنسانية، فهي على حد رأيه تزوجت لتظل ملكة، ورغبة منها في "التملك"[٣]، أما المؤرخ الإسباني الكبير **لويس شوارث فرناندث**"**Luis Suarez Fernandez**" فقد حلل هذا الزواج المختلط، وأبعاده في كتابه الصادر سنة (١٩٧٦م) بما يعني أنه كان زواجا "**براجماتياً**" إذا ما جاز لنا إستخدام هذا التعبير، فعبد العزيز نفسه كان يهدف من هذه الزيجة إلى مزيد من التوسع والتمدد في الأراضي الإسبانية[٤].

---

[١]– أحمد علي حشاد، طرق تجسيد العنصر العربي، ص٤٠–٤١.

[٢]- Elizabith Drayson, Reinventing, p 11-15

[٣]– راجع كتابه:

Hstoriy of Medieval Spain, Cronell University press, 1975, p 94

[٤]– راجع كتاب لويس شوارث فرناندث:

A Historia de Espana Antigua y Media, Madrid, 1976, p 136

وإهتم المؤرخ البريطاني الشهير **روجر كولنز**"**Roger Collins**" أستاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعة **إدنبرج**"**Edinburgh**" في كتاباته المختلفة، وخاصة في كتابه المنشور سنة(١٩٨٩م)[١]، وأيضًا في كتابه الصادر سنة(٢٠١٢)[٢]، بالتأكيد على حرص كل من إيخيلونا وعبد العزيز من خلال زواجهما على الإنتماء لطبقة الخاصة التي أسماها بـ "**الإيليت**"[٣]، فإيخيلونا صنعت تاجًا لزوجها لتظل زوجة الملك، أما عبد العزيز وكثير من القادة المسلمين الفاتحين فقد تزوجوا من نبيلات قوطيات أمثال: إيخيلونا، وسارة القوطية وغيرهن، حرصًا على الثروة والجاه وللإنتماء لهذه الطبقة " الإيليت" خاصة وأن من تبقى من بقايا طبقة نبلاء القوط في معظم الأحيان وتوارث أملاكهم كن سيدات، مما شجع المسلمين على الزواج منهن ليتم نقل هذه الثروات – طبقًا لرأيه – إليهم فشكلوا من خلال هذه الزيجات المختلطة طبقة أرستقراطية جديدة[٤].

ويبدو أن هذا الإتجاه الذي ظهر في كتابات المؤرخ البريطاني روجر كولينز كان هو الإتجاه السائد في المدرسة البريطانية للتاريخ الأندلسي بوجه عام، لأننا نجد أن كل من المؤرخ البريطاني **سيمون بارتون**"**Simon Barton**" أستاذ تاريخ العصور الوسطى وعصر النهضة **بجامعة إكستر**"**Exeter**"، وزميله المؤرخ **ريتشارد هيتشكوك**"**Richard Hitchcock**" في نفس الجامعة، قد إتفقا في هذا الرأي مع كولنز.

---

[١]– راجع كتاب روجر كولنز:

The Arab Conquest of Spain710-797, Oxford: Basil Black well, 1989, p 37-38.

[٢]– راجع كتاب روجر كولنز:

Caliphs And Kings, Spain, 796-1031, John Wiley Sons publication, Chichester, 2012, p6

[3] -op.cit, p6

[4] -Ibid, p6-7

فهما في كتاباتهما المختلفة، قد أكدا على ما ذكره هذا المؤرخ الكبير، فسيمون بارتون على سبيل المثال، قد ذكر في دراسته عن الزواج عبر الحدود، الصادرة في سنة(٢٠١١م)[١]، أن الزواج المختلط بين الأسياد المسلمين والإسبانيات القوطيات، قد أدى إلى تسيُّد الفاتحين الجدد، على الرجال القوط، في وقت كانت لا تزال أعداد المسلمين فيه في إيبيريا قليلة. وكان عبد العزيز يرغب في إقامة مُلك أرستقراطي لنفسه، فتزوج من إيخيلونا، التي كانت ترغب بدورها في الجاه والحفاظ على ممتلكاتها، فإلتقت رغبتها ونزعتها البشرية، تلك، مع نزعات عبد العزيز للإستيلاء – طبقًا لرأي هذا المؤرخ – على ثروات هذه النبيلة الإقطاعية الزراعية، لتصبح مِلكاً قانونياً له ولأبنائه، ولا تكون الأراضي التابعة له، من خلال "العنوة" فقط.

وقد كرر بارتون هذا المعنى في كتابه الصادر عام(٢٠١٦م)[٢] عن الغزاة والزواج المختلط مؤكدًا في الفصل الأول منه، أن هذا الزواج قد أسبغ عارًا على رجال إسبانيا القوط، ومشيرًا في الفصل الثالث إلى وجوب النظر إلى النساء الإسبانيات في هذه الحالة كضحية، ومن بينهن إيخيلونا بالطبع.

أما المؤرخ ريتشارد هيتشكوك، فقد أشار في دراسته الصادرة في سنة(٢٠١٦م) عن المستعربين إلى إحتمال رجوع إيخيلونا بأصلها إلى أسرة **الملك** "**Wittiza**"، ولذلك فقد تزوجها رودريجو "لذريق" ليقوي ملكه من خلال هذا الزواج، وهذا ما فعله أيضًا عبد العزيز. وألمح إلى حرص إيخيلونا على مصلحتها الشخصية، ورجح أنها قد

---

[١]– راجع كتاب سيمون بارتون:

Marriage across Frontiers, Sexual mixing, power and identitying Medieval Iberia, Journal of Medieval Iberian Studies, vol 3, no I, 2011, p1-25.

[٢]– راجع الفصلين الأول والثالث من كتاب سيمون بارتون:

Conquerors Brides and Concubines: Inter Medieval Iberia (The Middle ages series) Philadelphia University press, 2015.

أشهرت إسلامها طواعية، إلى جانب حرص مماثل من قبل عبد العزيز على الثروة والمُلْك[١].

أما **دانييل داوسون**"**Daniel Dawson**" أستاذ التاريخ **بجامعة فيرجينيا**"**Virginia Commonwealth University**" فقد فسّر زواج إيخيلونا من عبد العزيز ودافع عنها من خلال دراسته عن المرأة في ظل الشريعة الإسلامية، التي هاجم قوانينها، وأشار إلى قضية الميراث، وحق الزوج في ضرب الزوجة، وتحدث عن تعدد الزوجات، الذي أباحه الإسلام، رغم عدم إنتشاره بصورة كبيرة في الأندلس، وأكد على أن الشريعة الإسلامية قد عاملت المرأة كمواطن من الدرجة الثانية، مبررًا زواج المرأة المسيحية من مسلم بأنها كان يمكنها بمقتضى هذا الزواج الحصول على حقوق وإمتيازات، لم تكن لتحصل عليها بدون هذا الزواج[٢].

وفيما يتعلق بالدراسات الأدبية فقد إتخذنا مما ورد في **الموسوعة النسوية الأدبية** الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية عن الأدب الإسباني أنموذجًا تجاه صورة إيخيلونا في مجال الأدب في القرن الحادي والعشرين. وقد أكدت هذه الموسوعة على الصراع الشديد الذي وقعت فيه إيخيلونا من جرّاء زواجها من عبد العزيز ما بين

---

[١]– راجع دراسة ريتشارد هيتشكوك:

Mozarabes in Medieval and Early modern Spain Identities and influences, Rotledge, 2016, p13-14.

[٢]– راجع دراسته بعنون:

Women under the law in Islamic Spain 770-1492, Virginia Common wealth University, Armstrong under graduate Journal of history, vol, 5, Issue2, 2015, p2-8.

واجبها نحو وطنها، وولائها لزوجها وعاطفتها نحوه، مما يشير إلى ترجيح هذه الموسوعة إحتمال وجود مشاعر صادقة من إيخيلونا تجاه زوجها المسلم[1].

ومما سبق عرضه يتبين لنا أن صورة إيخيلونا في الكتابات الغربية الحديثة، لم تكن صورة نمطية، وإنما كانت متغيرة طبقًا للتطور ومقتضيات المناخ الثقافي منذ القرن السادس عشر وحتى القرن الحادي والعشرين. ولكن فيما يتعلق بزوجها المسلم عبد العزيز بن موسى بن نصير، فقد كانت صورته في معظم الكتابات، نمطية متصلبة؛ فإذا كانت إيخيلونا في كتابات القرون من السادس عشر حتى القرن العشرين هي "الزوجة الخطأ" لرودريجو، والخائنة لقضية وطنها، فإنها قد تغيرت في القرن العشرين والحادي والعشرين لتصبح أكثر منطقية وموضوعية وواقعية، فهي إنسانة لها نزعات بشرية تحاول التمسك بالجاه والمال، بكل الوسائل الممكنة، وكان زواجها من عبد العزيز، وسيلة لتحقيق أهدافها وفي ذلك إلتماس أعذار لشخصية إيخيلونا.

أما عبد العزيز فهو صاحب الصورة النمطية التي لاتتغير في معظم هذه الكتابات، فهو الحاكم الغازي الطامع في مزيد من التوسعات في الأراضي الإسبانية والذي إتخذ من زواجه بإيخيلونا، سلماً للوصول إلى الأملاك والإقطاعيات القوطية بطرق قانونية، وجعل قادته يحتذون حذوه لهذا الغرض وللوصول إلى الطبقة الأرستقراطية أو " الإيليت"، كما أنه في بعض الكتابات كان خائنًا لقضية دينه، لأصوله المسيحية الأولى ولذلك فقد تنصر، وضرب بعرض الحائط الولاء للخلافة الأموية، محاولاً الإستقلال عنها.

وأغفلت هذه الكتابات أن قضية الأصول المسيحية لآل نصير تبقى مجرد جدلية تاريخية تحتمل الصواب أو الخطأ، فكثير من الشخصيات التاريخية الشهيرة قد إختلفت في أصولها الأولى مثل طارق بن زياد على سبيل المثال وعمرو بن العاص،

[1] - The Feminist Encyclopedia of Spanish Literature, edited by Maureen Ihrie, Janet perez, printed in united States of America, 2002, p189

وطريف بن مالك، ويليان، وحتى بلاي ولذريق"رودريجو" فقد إختلف حول أصلهما في الكتابات الغربية . وحتى لو إفترضنا أن الأصول الأولى لبني نصير كانت مسيحية، فإن هذا لا يدينهم، فالإسلام يجب ما قبله، والعبرة بالخواتيم، وكم من قبائل إرتدت عن الإسلام بعد وفاة النبي–ﷺ– قد شاركت بعد ذلك في حركة الفتوحات الإسلامية بعد عودتها إلى صحيح الإسلام من جديد.

وقد فات على أصحاب هذه الكتابات التاريخية أن الزواج المختلط كان وسيلة من أهم وسائل التعريب ونشر الإسلام في الأقطار المفتوحة، ولعل هذا ما ميّزالعرب عن غيرهم من الإمبراطوريات التي حكمت هذه البلاد قبل الإسلام.

فإذا إتخذنا من مصر إنموذجًا على سبيل المثال، فإننا نجد أن العرب بإختلاطهم ومصاهرتهم بالأقباط، قد نجحوا في تعريب مصر، بعكس البطالمة والرومان، الذين ظلوا بمثابة طبقة حاكمة معزولة عن الأهالي، لم يتصاهروا معهم إلا نادرًا، ولعل هذا هو سر بقاء وإستمرار اللغة المصرية القديمة منذ دخول الإسكندر وحتى الفتح العربي، فاللغة القبطية تنحدر من اللغة المصرية القديمة، وكان ذلك بسبب هذه العزلة وهذا الإنفصال الإجتماعي بين الحكام المحتلين والمصريين[1]؛ أما العرب

[1]– اختلطت الفئات الدنيا من الإغريق في مصر مع المصريين وكان زواجهم منهم شائعًا، ولكن هذا الزواج المختلط حرم على مواطني المدن الثلاث في مصر بهدف الحفاظ على نقاء الدم الإغريقي. وهناك بعض الشواهد المبكرة في وثائق زينون البردية توضح وجود تزاوج مع المصريين ولكن من جانب الطبقات الإغريقية الدنيا. ولكن بوجه عام، كان الإحتقار للمصريين هو السائد(لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: محمد السيد محمد عبد الغني، جوانب من الحياة في مصر في العصرين البطلمي والروماني في ضوء الوثائق البردية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص٢٧ وما يليها.

– أما الرومان فقد قسموا سكان مصر من الناحية القانونية منذ أن فتحها أغسطس ٣١ق.م إلى سنة ٢١١م إلى قسمين أساسيين رومان ومصريين. وإعتبر الإسكندريون طبقة ممتازة من المصريين

فقد أنفوا من أن يكونوا مجرد حلقة جديدة من حلقات الإحتلال في مصر، فلجأوا إلى التصاهر مع الأقباط لتمتزج الدماء ويتم تعريب البلاد. ولعل هذا هو أحد أسباب شيوع اللغة العربية بعد حوالي ثلاثة قرون من الفتح العربي لتصبح اللغة الرسمية والشعبية أيضًا في مصر، ويكون العرب بذلك هم أول من نجح في تعديل الهوية المصرية القديمة من خلال اللغة، لتصبح مزيجًا بين الماضي والحاضر.

إذن كان الزواج المختلط سياسة عربية نحو التقرب، وليست سياسة تهدف إلى ضم المزيد من الأراضي والإقطاعيات– طبقاً لهذه الآراء الغربية– فمن يمتلك القوة

وجاءت ضريبة الرأس بمثابة علامة على هذا الفصل، إذ أعفي منها الرومان والإسكندريون ودفعها باقي السكان في مصر(آمال محمد الروبي، مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني إجتماعيا وإقتصاديا وإداريا، الهئية المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص٩). وكان من الممكن حدوث زواج بين الرومان والمصريين بعد تسريح الجنود الرومان من الخدمة العسكرية(المرجع السابق، ص١٦)، وقد تزاوج اليونان مع المصريين في العصر الروماني(نفسه، ص٣١) ولكن الزواج بين المصريين والرومان فقد منع من حيث المبدأ(نفسه، ٣٢).

– وفي العصر البيزنطي كانت اللغة القبطية بمثابة الوليد المباشر للغة المصرية القديمة رغم استعارتها الحروف اليونانية (ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية – القبطية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١١٥)، وقام القديس شنودة بتهذيبها وتخليصها من التأثيرات اليونانية البيزنطية حتى استوت على يديه لغة قومية وطنية صالحة للكتابة والخطابة(المرجع السابق، ص١١٥–١١٦).

– وكان المجتمع المصري في العصر البيزنطي يتكون من اليونانيين وهم يشكلون الطبقة الأرستقراطية التي تتمتع بكثير من الإمتيازات مثل الإعفاء من ضريبة الرأس وشراء الأراضي التي حرم منها المصريون أصحاب البلاد، واليهود الذين اشتغلوا بالتجارة وبنوك الأموال، والمصريين ، الذين كانوا يتحدثون اللغة القبطية تعبيراً عن قوميتهم ولكنهم كانوا في نظر الإمبراطورية البيزنطية أقل شأناً من العنصرين السابقين(صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، نشر مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١، ص١١١ وما يليها).

والسيادة ويجلس على كرسي الحكم، لن يهتم أبداً بشرعية قانونية أو خلافه، فهو بالعنوة يستطيع أن يضم ما يريد من أراضي ضارباً بعرض الحائط قوانين قوطية قد عفا عليها الزمن. والواقع يفرض نفسه، ولذلك فنحن لا نميل إلى تأييد هذه الآراء التي وردت في هذه الكتابات الغربية التي عرضناها، ونرجح أن الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان في الأندلس في بداياته كان بهدف التعريب.

وفيما يتعلق بالسيدة المسلمة والدة الملك الأشتوري مورجاتو، ابن ألفونسو الأول، فإن الصورة الواردة عنها في الكتابات الغربية القديمة والحديثة على السواء، قد إقترنت وإرتبطت بصورة إبنها مورجاتو أيضًا، بل إننا نلاحظ شحة الكتابات حولها عند الإسبان القدامى والحديثين، في مقابل صمت مطبق في المصادر العربية عن سيرتها. ولكن صورتها قد ألقت بظلالها على سيرة إبنها الملك مورجاتو، بحيث أننا يمكننا أن نحدد ملامح صورة الأم من خلال ملامح صورة إبنها مورجاتو في هذه الكتابات.

ويعد ألفونسو الأول والد مورجاتو هو أول ملوك مملكة أشتورياس التي ستعرف بإسم **مملكة ليون**" **León**" فيما بعد إعتبارًا من عهد **الملك ألفونسو الثاني** "**ALFONSO II**" الملقب **بالعفيف**"**El casto**"(١٧٥-٢٢٨هـ/٧٩١-٨٤٢م). وتتسم الحروب بين المسلمين في الأندلس وبين الإسبان في أشتورياس بأنها بدأت تتخذ الطابع الديني منذ عهد ألفونسو الأول هذا الذي تلقب **بالكاثوليكي**"**El Católico**"، بعد أن كانت ذات طابع قومي سياسي قبل ذلك منذ بدايات ظهور المقاومة الإسبانية على يد **بلاي**"**Pelayo**"، الذي هزم المسلمين في موقعة **كوفادونجا** " **Covadunga**"[١]. وتعد هذه الهزيمة هي فاتحة **حركة الإسترداد المسيحية**" **la**

[١]- عبد الرحمن على الحجي، التاريخ الأندسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ، دمشق، ١٩٧٦، ص٢٦٩.

- ومن الجدير بالذكر أن المدونات الإسبانية تعتبر هذه الموقعة التي لم تهتم بذكرها المصادر العربية هي البداية الرمزية للملكية الإسبانية الجديدة في أشتورياس.

Riconquista"، وأعقبها هزيمة نكراء حلت بالمسلمين على يديه أيضًا في عام(١٣٣هـ/٧٥٠م) بسبب فتنة أبي الخطار، وثوابة، وتمكن بلاي من إخراج المسلمين من منطقة **جليقية**"**Galicia** " كلها، وتنصر من تنصر[١]، وظل بعض المسلمين هناك في خضوع وذل لحكم الإسبان[٢].

وتولى ألفونسو الأول مواصلة حركة الإسترداد بعد بلاي فإكتسح الأراضي الإسلامية المجاورة لحدوده، والتي كانت بمثابة الحدود الفاصلة بين الأراضي الأندلسية والمسيحية. وعندما ضربت المجاعة ببلاد الأندلس في عام(١٣٣هـ)، رحل الكثير من المسلمين عن هذه المناطق فإزدادت قوة المملكة الإسبانية الناشئة. ثم إستولى ألفونسو على المزيد من الأراضي الإسلامية في (١٣٦هـ/٧٥٣هـ) بالتزامن مع هجرة الأهالي المسلمين إلى طنجة وأصيلة بالمغرب[٣] مستغلاً الجوع والمحل الذي عصف بالأندلس، وقام بحرق الأشجار والأراضي الثغرية في **إسترامادورة**"**Extramadura**"[٤] وهي

---

[١]– مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، نشر لافونتي الكنترا، مجريط، ١٨٦٧، ص٦٢؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩١، ج٢، ص٢٩٧؛ عبادة كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، القاهرة، ١٩٩٣، ص٦٦–٦٧.

– وهناك غموض في تاريخ هذه الفترة من تاريخ أشتورياس فيما ذكره صاحب الأخبار المجموعة فهو قد خلط بين أعمال بلاي العسكرية وأعمال ألفونسو الأول من بعده، لإختلاف الروايات المسيحية والمدونات في ذكر وفاة كل منهما. ولمزيد من التفاصيل انظر:

Aguado Bleye, Manuel De la Historia De Espana, T. I, p478.

[٢]– عبادة كحيلة، تاريخ النصارى، ص٦٩.

[٣]– أخبار مجموعة، ص٦١–٦٢.

[٤]– عن غارات الملك ألفونسو الأول على أراضي إسترامادورة وحرقه الأراضي. إرجع إلى:

Manuel Torren Albarran, El Solar De los Aftasies, Badazoz, 1953, p94.

الخطة المعروفة في لغة الحروب بالأراضي المحروقة[١] لتصبح حاجزًا طبيعياً بما يشبه الصحراء بين الطرفين. ثم أحرز عدة إنتصارات على المسلمين نواحي **شلمنقة**" **Salamanca**" **وسمورة**"**Zamora** ".

لقد أدى توسع الإسبان في الشمال على حساب المسلمين بالأندلس في أخريات عصر الولاة، ثم في بدايات عصر الدولة الأموية، إلى إمتلاكهم نحو ثلث شبه الجزيرة الأيبيرية، في حين إختص المسلمون بالثلثين في هذه الفترة المبكرة من التاريخ الأندلسي، وترتب على ذلك أن أضيف إلى عناصر المجتمع في مملكة أشتورياس الناشئة، عنصر جديد وهو المسلمون، الذين كانوا ممن آثروا البقاء في أراضيهم التي إستولى عليها الإسبان لإرتباطهم بمصالح إقتصادية، أو أنهم كانوا من الأسرى المسلمين الذين وقعوا في أيدي الإسبان[٢]، أو من المتمردين والمنتزين الفارين من الحكم الإسلامي في الأندلس.

وقد أطلق على هؤلاء المسلمين الذين عاشوا في أشتورياس في البدايات بإسم **موري**"**Mauri**"، ثم تطور المسمى ليصبح **موري كابتي**"**Mauri Capti**" بمعنى **المسلم الأسير**، ثم تطور ليصبح بداية من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي "**Mauri Pacis**" أي "**المسلمون المستأمنون**"، وأيضًا "**Mauri Regis**" أي "**المسلمون التابعون للملك**" وهم أحرار، ثم تطور المسمى بعدها ليتسمى المسلمون **بالمدجنين**"**Mudejares**"[٣].

---

[١]– سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج٢، ص٢٩٩ وما يليها.

[٢]– سحر سالم، جوانب من تاريخ أبناء الأقلية المسلمة في مملكة أشتورياس–ليون حتى نهاية عهد الملك ألفونسو الثاني العفيف(٢٢٨هـ/٨٤٢م)(أحد بحوث كتاب تغريدات تاريخية من العصر الإسلامي، موسسة الفتح للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٢٢، ص٣٩٤ وما يليها.

[٣]- Nevil Barbour, Actos de IV Congreso estudios, Arabes e Islamico, Coimbra, lisboa, 1968, p 25, 197, 269.

وليست لدينا معلومات وافية عن هؤلاء المسلمين، الأوائل، ولكنهم إندرجوا ضمن طبقات العبيد في المجتمع الأشتوري إلا من تنصر شراء لحريته وحرية أبنائه، وإنتقلوا بذلك من طبقة العبيد إلى الطبقة الوسطى التي عمل أفرادها كصناع وتجار وحرفيين مما ساهم في إنعاش المجتمع الأشتوري وبناء نهضته[1].

وفي ظل هذه الظروف التاريخية ظهرت قضية السيدة المسلمة التي إقترن إسمها بالملك ألفونسو الأول، والتي أنجبت له إبنه مورجاتو الذي سيتولى حكم أشتورياس في سنة (١٦٧هـ/٧٨٣م).

وتصمت المصادر العربية تماماً عن ذكر قصة إرتباط هذه المسلمة بألفونسو الأول، وإن كانت بعض المصادر قد ذكرت إسم الملك مورجاتو بن ألفونسو الأول على أنه مورقاط، وشرحت ظروف صعوده إلى الحكم[2].

وكانت المدونات الإسبانية هي التي أشارت إلى كوْن مورجاتو ابناً لسيدة مسلمة، وكان الملك **سيلو**"**SILO** " (١٥٨-١٦٧هـ/٧٧٤-٧٨٣م) زوج إبنة ألفونسو الأول – والذي حكم أشتورياس في فترة سابقة على مورجاتو– كذلك ابناً لسيدة مسلمة

عبادة كحيلة، تاريخ النصارى، ص٦٨.

[1]– لمزيد من التفاصيل. ارجع إلى: سحر سالم، جوانب من تاريخ أبناء الأقلية المسلمة، ص٣٩٧ وما يليها.

[2]– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة ١٩٦٦، ج٦، ص٧٩؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بيروت، ١٩٦٨، ج٤، ص١٨.

طبقًا لما ورد في هذه المدونات، ولعل هذا يفسر على حد ذكرهم حالة السلم التي سادت بين المسلمين في الأندلس والإسبان في عهدهما[١].

ولعل أول وأهم الكتابات الإسبانية الحديثة اتي أشارت إلى الأصول الإسلامية لوالدة مورجاتو ملك أشتورياس أعتمادًا على المدونات المسيحية الإسبانية التي ترجع إلى عهد ألفونسو الثالث تتمثل فيما اورده عالم الآثار والمؤرخ الإسباني **أمبروسيو دي مورالس**"**Amberosia De Morales**" (١٥١٣-١٥٩١م) الذي أشار إلى أصول أم مورجاتو المسلمة في مدونته المسماة " **CRÓNICA GENERAL DE ESPAÑA**" والمنشورة في عام(١٥٧٤م)[٢]، وتلاه في ذلك **الأب كارفالو**" **Alfonso De Carvallo**"(١٥٧١-١٦٣٥م) الذي كان كاهنًا ومؤرخًا أشتورياً، فهو قد أكد على أن الملك ألفونسو الأول قد أنجب إبنًا غير شرعي من عبدة مسلمة، وهو الملك مورجاتو فيما بعد، وهو في ذلك يقول:

---

[١]- تذكر مدونة البلدنسي"Albeldense" أن سيلو قد أقرّ حالة من السلم بينه وبين عبد الرحمن الداخل "Com Spania ob causam matris" أي بناء على رغبة أمه مما جعل هذه المدونة تؤكد أن أم الملك سيلو كانت مسلمة.

Chronica Albeldense, Patrologia Latina, vol, 129,(Col 11378, p55.

وعن سيلو، ارجع إلى:

Luis Alfonso De Carvallo, Antiguedades y cosas memorables del principado De Asturias, 1695, p147-149

وعن أصول والدة الملك مورجاتو، إرجع إلى:

Cronica General De Espana, De Ambrosio De Morales, Madrid, 1695, vol, VIII, Libro XIII.

2- Ambrosio De Morales, Cronica General De Espana, Madrid, 1574, vol VIII, Libro XIII

"Rey Maurgato hijo bastardo del rey D. Alfonso el Católico, habido en tiempo de su mocedad en una esclava mora de nacion[1]"

ولعل ذلك هو الذي جعل لإبن الملك ألفونسو الأول غير الشرعي هذا من العبدة المسلمة، إسمًا له علاقة بالمسلمين، فقد فسّر أحد أهم المؤرخين الحديثين وهو"**Luis Suarez**" إسمه"**Maurgato** " على أنه يشمل على مقطعين المقطع الأول"**Maure**" بمعنى **المسلمة**، والثاني"**Gato**" وهو تحريف من كلمة"**Capatae**" بمعنى **الأسيرة** باللغة الأشتورية القديمة، وهذا يعني أنه سمي تاريخيًا بـ"**إبن الأسيرة المسلمة**"[٢].

وهنا تظهر أولى ملامح صورة أم مورجاتو المسلمة في الكتابات الإسبانية بأنها الأسيرة الذليلة وذلك إنطلاقًا من إسم ابنها، أو بالعبدة كما ورد فيما ذكره دي كارفالو، وهو ما لقب به أيضًا مورجاتو الذي سمي في التراث الإسباني بالعبد، فقد نظرت إليه الكنيسة الأشتورية بإحتقار[٣]، ووصف مورجاتو في المدونات والكتابات الإسبانية قديمًا وحديثًا بالخادم والغاصب.

كما أشار الأب كارفالو إلى الأسطورة التي أُلصقت بشخص الملك مورجاتو الذي يرى أنه لم يصعد إلى حكم اشتورياس إلا بمساعدة المسلمين زمن عبد الرحمن الداخل، وهي الأسطورة المعروفة **بجزية المائة فتاة أشتورية**"**Cien Doncellas**"، وهي عبارة عن إتاوة سنوية كان مورجاتو يقدمها إلى المسلمين في الأندلس تتمثل في مائة فتاة أشتورية وخمسين محارباً من النبلاء وخمسين من العامة، وخيولاً وأسلحة،

1 -P. Luis Alfonso De Carvallo, Antiguedades y cosas memorables del principado De Asturias, 1695, p267

2 -Luis Suarez Fernandez, Historia De Espana, p165

٣- عبادة كحيلة، تاريخ النصارى، ص٧٤.

نظير مساعدتهم له في الوصول إلى الحكم، والتي ظلت تُقدم إلى المسلمين كل عام حتى عهد **راميرو الأول**"**Ramiro I** "(٢٢٨-٢٣٦هـ /٨٤٢-٨٥٠م) الذي أبطلها بعد إنتصاره على المسلمين في معركة **كلافيو**"**Clavijo** " (٢٣٠هـ/٨٤٤م)؛ وفي ذلك يقول لوبس ألفونسو دي كارفالو:

"Y por la paz, per petua maurgato y los fuce ffores en el reyno a via de der Abderramen y los que defpues de el pucedie ffen en el reyno de cordova cada año de fuedo y fuero por pemo cien doncellas, christianas, les cincuenta nobles y las cincuenta de gente common [1]"

وقد إستقى دي كارفالو أخبار أسطورة جزية المائة فتاة من الكتابات الإسبانية الوسيطة التي ظهرت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وخصوصًا في كتابات **الأسقف**"**Lucas De Tuy**" المتوفي سنة(١٢٤٩م) وكانت له مدونة تحمل تحليله لمواقف ملوك الإسبان في العصور الوسطى وموقفه من حركة الإسترداد وتطورها[٢]، وذكر فيها حادثة جزية المائة فتاة أشتورية إلى المسلمين.

وإختلطت ملامح صورة والدة مورجاتو بملامح صورته هو، فإذا كانت هي العبدة الأسيرة فهو الخادم، وإذا كانت هي المسلمة فهو الغاصب الذي إنتزع عرش أشتورياس بعد قيامه بثورة على الملك ألفونسو بمساعدة أقربائه المسلمين في الأندلس تحت إمارة عبد الرحمن الداخل.

وبدأ الخيال في الامتزاج بالحقيقة التاريخية ليصيغ كتابات أدبية ذات طابع تاريخي، وصلت إلى حد ما يشبه الأسطورة التي شاعت في المجتمع الإسباني، حول

1 -P. Luis Alfonso De Carvallo, Antiguedades, p268, 269.

[٢]- سحر سالم، جوانب من تاريخ الأقلية، ص٤٢٢.

والدة مورجاتو المسلمة، بل وحول إبنها مورجاتو في نفس الوقت. وظهرت معالمها في القرن التاسع عشر الميلادي بوضوح في كتابات كل من **إيوسيبيو مارتينيث**"**Eusebio Martinez**"(١٨٣٦-١٨٩٣م) الذي كان كاتباً صحفيًا ومؤرخًا وأديبًا إسبانيًا، وكذلك في كتابات المؤرخ والأديب والكاتب الإسباني **فرانسيسكو فرناندث دي بيثنكورت**"**Francisco Fernandez De Bethencourt**"(١٨٥٠-١٩١٦)فقد أورد إسم هذه السيدة المسلمة والدة مورجاتو، على أنه **سيسيلادا**"**Sislada**"، وهو مالم يذكر من قبل في المصادر الإسبانية.

وقد فضّل المؤرخ والكاتب"**Eusebio Martinez**" في ذكر قصة سيسيلادا وعلاقتها بالملك ألفونسو الأول، وذكر أنها كانت أسيرة إفريقية(بربرية مغربية) **لدون**"**Suero De Buyers**" إمتلكها سنة(١٣٦-١٣٧هـ/٧٥٣م)، وعاشت معه في قلعته، حتى إلتقت بفارس أزرق العينين أحبته، وأنجبت له ولدًا، وكان هذا الفارس هو الملك ألفونسو الأول، أما الإبن فكان هو الملك مورجاتو فيما بعد[١].

ولم تكتف الكتابات الإسبانية قديمًا وحديثًا بوصف والدة مورجاتو وإبنها بصفات الدونية والضعة والذل، فهما الخدم والعبيد والأسرى، فحسب[٢]؛ بل أن المؤرخين والكتاب الإسبان وصفوا الملك مورجاتو بـ"**المهرطق**" أيضًا، فديانته على الرغم من أنه كان كاثوليكيًا على مذهب الكنيسة الغربية، إلا أن إيمانه المسيحي كان دائمًا مصدر شك، لأن والدته كانت مسلمة، وقيل بأنه لم يكترث للديانة التي منحها له أبوه، بقدر إهتمامه بديانة الأم المسلمة العبدة، خاصة مع تزامن إنتشار بدعة "**التبني**" "**Adoptioism**" في أشتورياس في عهده، وإنقسام المجتمع الأشتوري ولاسيما بين

---

[١]- عن والدة الملك مورجاتو في كتابات "Eusebio Martinez" راجع بحثه المنشور في مجلة المتحف العالمي بإسبانيا سنة ١٨٦٣م. وارجع كذلك إلى:

Fransisco Fernandez De Bethencourt, Historie genealogica y heridica de la monarquia Espanola, 1897, vol I, p167.

[٢]- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: سحر سالم، جوانب من تاريخ الأقلية، ص٤٠٥ وما يليها.

رجال الدين حولها. وكان أول من أثار قضية التبني الإسبانية هو مطران **طليطلة**"**Toledo**" **إليباندوس**"**Elipandus**"[١]، الذي كان تحت الحكم الإسلامي[٢]، وإنتقلت أفكاره إلى أشتورياس، فأيدها رجل الدين **فليكس**"**Felix**"[٣]، أسقف **أرقلة**"**Urgel**"، وقيل أنها كانت بتأثير من أفكار الإسلام، وتصدى لها الراهب **بيتوس أوف ليبانا**"**Beato De Leibana**"[٤] في أشتورياس، مما أثار جدلاً دينيًا كبيراً.

وإتُهم مورجاتو بتشجيعه بدعة التبني المتأثرة بالفكر الإسلامي، وبأنه كان وراء هذه الفتنة المذهبية المسيحية هو وأمه بصورة ما، رغم أنه كان متدينًا كمسيحي، حتى أن بيتوس دي ليبانا قد أنصفه في الكتاب المنسوب إليه، بأنه حامي الدين والمسيحية، وهو في ذلك يقول طبقا لما ورد في نص هذا الكتاب باللغة الأصلية:

"O Raex Regum Pium Mauegatum A exaudi cui prove oc tuo amore preve"[5]

ورغم ماذكره دي ليبانا لإنصاف مورجاتو من تهمة الهرطقة وتشجيع هذه البدعة الدينية فقد ظل مورجاتو يوصم بهذه الوصمة في الكتابات الإسبانية.

ويعد المؤرخ الإسباني الكبير **لويس شوارث فرناندث**" **Luis Suarez Fernandez**" من أهم من أكد على ملامح الأسر والعبودية وذلك قي كتابه السابق

١- Simonet, Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1897, p272-274; Francisco Rico, La Clerecia del mester, Hispanic Review, vol 53, no.2 , dpring 1985, p127-150; Cullen, J, Chadler, Heresy and Empire, the Role of Adoptionist controversy in Charlemgne's conquest of the Spanish march, the international history Review, vol 24, 2002, p505-527.

٢- عبادة كحيلة، تاريخ النصارى، ص١٢٩.

٣- المرجع السابق، ص١٢٩.

4 -Luis Suarez Fernandez, Historia De Espana, p172-174

5 -Obras Completatas De Beato De Liebana, Madrid, 1195, p674-675.

ذكره الصادر(١٩٧٦م)، عند رسمه صورة مورجاتو ووالدته، بداية من إسم هذا الملك الذي رأى شوارث أنه استقاه من وضع أمه الاجتماعي وأكد على أن عهد مورجاتو كان الأكثر قتامة وسوادًا في تاريخ هذه المملكة الإسبانية وهو في ذلك يقول:

"Mauregato (maure captae) se ha supuesta haya sido hijo de una cautiva musulmana. La memoria de mauregato es la mas sombria de las que corresponder a los monarcas asturianos..." [1]

مشيرًا إلى عار الإتاوة أو ما يعرف بأسطورة المائة فتاة أشتورية كوصمة في تاريخ مورجاتو إبن المسلمة، وتاريخ أشتورياس كله.

أما الدكتورة **إيميلي فرانكُمانو**"**Emily Francomani**" الأستاذة بقسم التاريخ الإسباني والبرتغالي **بجامعة جورج تاون**" **George town University**" في واشنطن، فقد تعرضت في دراسة فيمة لها صدرت في عام (٢٠٠٧م)، لمورجاتو وقصة الجزية التي قدمها للمسلمين الممثلة في المائة فتاة أشتورية، كرمز لتبعيته لهم وتقديرًا منه لمساندتهم له في الوصول إلى الحكم، وتعرضت لتاريخه وإن كان ما قدمته يتسم بموضوعية أكثر من الكتابات السابقة[٢].

ومما سبق، يتبين أن الصورة التي حرصت الكتابات الإسبانية الحديثة على رسمها لوالدة الملك مورجاتو المسلمة ولمورجاتو نفسه، ليست سوى صورة نمطية متقولبة متصلبة، إتسمت بالوصم لهما معًا، ولم تخضع للتغيير عبر الزمن. وظلت "قصة المائة فتاة أشتورية" التي تحولت إلى ما يشبه الأسطورة، بمثابة وصمة عار في

1 -Luis Suarez Fernandez, Historia De Espana, p166

2 -Emily, C.F, Francmano, The legend of tribute de la cien doncellas Women as Wareavers and the cion of Salvation, revista candiense de Estudios Hispanicos, vol 32, no I, Otoño 2007, p9-25

التاريخ الإسباني وظل عهد مورجاتو هو الأكثر غموضاً واصطرابًا وسوادًا في مراحل تاريخ إسبانيا كله.

وربما كانت هذه الكتابات الغربية الأخرى مثل دراسة إيميلي فرانكمانو تتسم بشيء من الموضوعية أكثر من تلك الكتابات الإسبانية، وإن لم تخل أيضًا من روح التعصب تجاه الملك مورجاتو ابن السيدة المسلمة.

نتائج الدراسة:

١- اختلفت الصورة في الكتابات الغربية الحديثة تجاه المرأة الإسبانية التي إنخرطت في زواج من مسلم، عن تلك الصورة تجاه المرأة المسلمة التي إقترنت بإسباني، فبينما وجدنا أن صورة المرأة الإسبانية كانت متغيرة غير نمطية، تتطور مع التطور الثقافي والإجتماعي ومع الزمن. وجدنا أن الصورة تجاه المرأة المسلمة كانت ثابتة، راسخة، مُسبَقة لاتخضع لأي نوع من أنواع التغيير، تحمل في طياتها إنطباع مسبق من الإتهام والوصم.

٢- إختلطت الحقيقة التاريخية لكل من إيخيلونا وسيسيلادا والدة مورجاتو بالخيال فتحولت سيرتهما إلى أعمال أدبية سرعان ما أصبحت أشبه بالأساطير.

وفي ختام دراستنا نطرح بعض التساؤلات، وسنحاو تقديم بعض الإجابات عليها، حول العلاقة الثلاثية بين كل من الأسطورة والتاريخ والأدب وأيهما أكثر صدقًا، وإذا ما كان التاريخ هو الحقيقة في حين أن الأسطورة هي الخرافة أما الأدب فهو ضرب من الخيال[١]. وفي تصورنا أن هذه الثلاثية ما هي إلا زوايا ثلاثة لمثلث يتمركز بداخله الإنسان الذي لا يستطيع أن يخرج خارج إطاره.

[١]- راجع كتاب، الأسطورة توثيق حضاري، ص٢١.

ويرى البعض أن الأسطورة قد إشتقت إسمها من كلمة سطر العربية وسطور ومن فعل يسطرون، وأن كلمة أسطورة قد تحرفت لتصبح ستوريا أو إستوريا "Historia" بمعنى تاريخ في أوروبا، وذلك بعد أن إنتقلت من اللغة العربية السامية إلى اللغات الأوروبية من خلال الفينيقيين الساميين الذين نقلوها إلى بلاد اليونان، ومنها إلى قارة أوروبا كلها. فيكون إسم التاريخ ومعناه بذلك قد ولد من رحم الأسطورة[١].

وتُقسّم بعض المدارس التاريخية، التاريخ إلى عصرين، أسطوري وتاريخي. ولا نميل إلى الأخذ بهذا التقسيم، لأنه لا يمثل التاريخ الحقيقي للإنسان، فالتاريخ وحدة متكاملة، وما تجزئة التاريخ إلا تسطيح له، فهو سلسلة متصلة الحلقات.

أما العلاقة بين التاريخ والأسطورة فهي لا نهائية، وممتدة ومتواصلة ولا تقتصر على عصر دون آخر أو على فترة زمنية محددة، فإذا كانت الأسطورة مصدرًا من مصادر التاريخ، فإن كثيرًا من الأساطير قد خلقت في العصر الذي يسمونه بالتاريخي أيضًا، خلقها البشر بأيديهم في العصر الحديث من رحم التاريخ، فالإنسان هو الذي جعل من بعض الثوار كغاندي وتشي جيفارا ومانديلا أساطيرًا، كما جعل من بعض الحكام كهولاكو وهتلر وموسوليني وتشاوشيشكو وحوشًا، كما حول البعض الآخر مثل " دراكولا" حاكم ترانسلفانيا "الأفلاق" ضمن الأساطير القومية[٢].

الإنسان هو الذي يخلق من وحي التاريخ أساطيره، وأنصاف آلهته. وقد إختلطت الأساطير منذ بدء الخليقة بالخيال. فمن أساطير السومريين وجلجامش إلى إيزيس، إلى أساطير الإغريق، وآلهتهم، ظهر الأدب.

---

[١]– المرجع السابق، ص٢٢ وما يليها؛ أحمد كمال زكي، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، مكتبة الشباب، ط١، ١٩٧٥،، ص٤٤، ٥٥؛ وديع مبشر، الميثولوجيا السورية، ص٩–١١؛ ك.ك رانفين، الأسطورة، ص٩، ١٠.

[٢]– سحر عبد العزيز سالم، الأصول التاريخية للأدب الروائي والأساطير، ص٦٢٤–٦٢٧.

دارت الأسطورة ومعها كل من التاريخ والأدب في فلك الأنسان فالتاريخ هو الذاكرة والأسطورة كما عرفها الفلاسفة هي الروح والأدب هو الخيال.

وجميعهم يشكلون جوهر الإنسان. وليس كل ما في الأسطورة خرافة، فهي مستقاة من كثير من الحقائق، وإن كان قد حرّفها الخيال فارتبطت بالأدب، وليس كل التاريخ حقيقة، طالما أن من سطّره هو الإنسان، وطالما أن هناك سلطة يهواها هذا الإنسان، وأيديولوجيا يعتنقها، وعِرقٌ ينتمي إليه، فلن توجد هناك حقيقة مؤكدة.

وهكذا كان حال كل من إيخيلونا وسيسيلادا،

فصورتهما كانت عنواناً للثلاثية المتكاملة المرادفة لإبداع الإنسان،

الأسطورة..والتاريخ..والأدب.